وجودها ونظرتها للحياة بشتى سبل الخداع والإكراه .

هذا مايجعلنا نؤمن بأن القصة العربية التي بين أيدينا هي قصة غربية سواء في روحها ومضامينها أو شكلها الفني ، وليست امتداداً للصور القصصية في أدبنا القديم لامن الناحية الفكرية ولامن الناحية الفنية .

وقد يبدو في هذا الرأي شيء من الغرابة ، خاصة وأن كتاب القصة عندنا يصفون أنفسهم بـ (الواقعية) التي تصدر عن واقع البيئة العربية أو الإسلامية في الأقطار الإسلامية غير العربية . ولكن تصوير «الواقع» مهما كانت درجة هذا التصوير يخضع للفلسفة والنظرة التي يصدر عنها هذا التصوير . فإذا كانت هذه الفلسفة أو النظرة تصدر عن تصور إسلامي للكون والحياة والإنسانية ، فإن هذه (الواقعية) واقعية إسلامية - مع الفهم الإسلامي الخاص لمعنى الواقعية - وإن كانت تصدر عن تصور غزلي لهذا الكون والحياة الإنسانية ، فإنها واقعية غربية ، تكون معها القصة غربية حتى لو صوّرت مظاهر الحياة عندنا ، فالعبرة في فهم الحياة وتوجيهها ، وليست في وصف البيئة أو رسم الشخصيات ، أو إدارة الحوار والسرد .

وإذا قلنا بأن قصتنا العربي الحديثة قد خضعت في روحها وشكلها للقصة الغربية،لايعني أن الغرب قد تمكن من هذا الفن منذ فترات بعيدة في التاريخ ، بل إن ماوصل إليه هذا الفن عندهم لايعود إلى أبعد من عام ١٧٤٨ م ، وهو العام الذي كتب فيه (رتشردسن) قصته المسماة (باميلا) وتتأخر عنها أول قصة عربية بحوالي قرن ونصف وهي قصة (زينب) لمحمد حسين هيكل (٥) .

ولهذا ، ليس من المنطق التاريخي والواقعي ، إن يقارنوا بين العصر الحديث الذي نشأت فيه القصة عندهم في أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وبين العصور الإسلامية التي بدأت بالقرن السابع الميلادي ، وإذا كان ثمة مقارنة فهي المقارنة التي يجب أن تكون بين تلك العصور الإسلامية المزدهرة في مظاهر الحياة كافة ، وبين الفترة التي كانت توازيها في الحياة الأوربية ، وهي الفترة التي أطلقوا عليها بفترة القرون الوسطى،وهي الفترة الموسومة عندهم بالتخلف .